# الوعي واللغة

## المادة، الدماغ، الفكر، الوعي، الصوت، اللغة

**د. محمد شطب**

**المادة:** تعرَّف **المادة** في الفيزياء الكلاسيكية، أو في ما يسمى بعلم الكونِيّات، على إنَّها كل شيء يشغل حيزا في الفراغ وله وزن (كتلة وحجم)، وتشكل المادة إنطلاقاً من هذا التعريف ما أصطلح على تسميته بالكون الملموس، وقد تقادم هذا التعريف إرتباطاً بالتطور الجاري في مختلف العلوم الطبيعية كالفيزياء والكيمياء والبايولوجيا وغيرها من العلوم وعلى مدى عقود من السنين وبخاصة بعد الإنجاز العظيم الذي توَّصّل اليه العالم الألماني الشهير آلبرت آينشتاين (Albert Einstein 14.03.1879 – 18.04.1955)، الذي تضمنته نظريته الشهيرة في علم الفيزياء، التي إشتهرت بإسم النظرية النسبيَّة، ذلك الإنجاز الذي يتعلق بكيفية تحويل المادة إلى طاقة، وبالتالي فقدان الواصل بين الأثنين، وهذا ما عكسه في معادلته الشهيرة: $E=mc^2$ الطاقة = (الكتلة x سرعة الضوء$^2$)

وقدر تعلق الأمر بوزن المادة، فقد أكد العلماء بأن هذه المسألة مرتبطة بعناصر أساسيَّة أخرى مثل **المكان والزمان** الذي تتواجد فيهما المادة المعنيَّة، فمن المعلوم بأنَّ وزن مادة معينة على الأرض يختلف عن وزنها على القمر، وبذلك تمت إضافة هذين العنصرين إلى العناصر الكلاسيكية الثلاث المتعارف عليها والمرتبطة بموضوعة الحجم، وهي **الطول والعرض والإرتفاع**، حتى أصبحت هذه العناصر بمجملها تكوِّن الأبعاد الأساسيَّة لكل مادة، ويتطور العلم وتتطور معه مضامين هذه الأبعاد والأسس التي يشملها هذا التعريف. ورغم التطور الذي جرى ويجري في العلوم الطبيعية وما رافق ذلك من إغناء مستمر لتعريف المادة من وجهة النظر الفيزيائية، فقد بقي هذا التعريف بعيداً عن التجاوب مع طموحات العلوم الأخرى وبخاصة علم الفلسفة.

حيث تُعَرَّف المادة، وبالتالي العالم المادي برمته، من وجهة النظر الفلسفية، كونها حقيقة موضوعيَّة، موجودة خارج وعي الإنسان، ومستقلة عن هذا الوعي، وهي الشيء الأساسي في الكون، وإنَّ الإنسان، وبالتالي المجتمع البشري، ما هو إلا جزء مميز في هذا العالم الماديّ، وقد عرَّف الفيلسوف الألماني كارل ماركس (**Karl** Heinrich **Marx** (05. 05. 1818 in Trier; † 14. 03. 1883 in London
المادة من وجهة النظر الفلسفيَّة بالشكل التالي: *كل شيء موجود خارج حدود الوعي ومستقل عنه، يسمى مادة.
*(1)

**الدماغ:**

| | |
|---|---|
| **هو أحد المكونات الأساسية لجسم الإنسان، ذو تركيبة معقدة جداً، موقعه في الرأس، ويعتبر الجزء الأساسي من الجهاز العصبي المركزي، كما يعتبر مركزا للتفكير والأحاسيس والإنفعالات، والجزء الأكبر منه يتكون من نسيج من الأعصاب لمادة متطورة جداً.**<br>**تطور عمل دماغ الإنسان في القرون الأخيرة بشكل متسارع، وذلك إرتباطاً بالتطورات العملاقة، التي جرت وتجري بشكل مستمر في كافة ميادين العلوم. ودماغ الإنسان مغلف من جميع الجهات بغشاء لزج، ومحمي بشكل دقيق داخل الجمجمة.**<br>**(2)** | 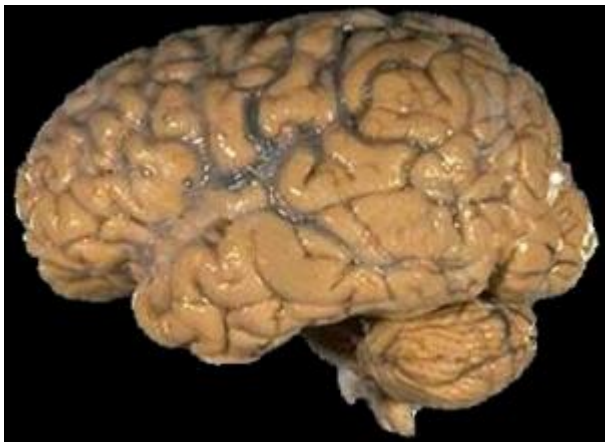 |

يقوم الدماغ بوظيفة إستيعاب وتبويب وتنسيق ما تحصل عليه كافة الأعظاء الحسِّية للجسم من معلومات مختلفة متأتية من خلال عملية الإنعكاس للواقع المادي الذي يحيط بنا، ومن خلال الإنفعالات والرغبات التي

ترافق عملية الإنعكاس هذه، كما يقوم بعمليات ربط وتنسيق عالية جداً لهذه المعلومات. ويعتبر الدماغ المركز الأساسي لحفظ المعلومات وإدارتها، وكذا لتوزيعها على شكل أوامر تمر عبر شبكة دقيقة ومتطورة جداً من الأعصاب المنتشرة في كافة أنحاء الجسم، وتقوم أجهزة الجسم المختلفة بتحويل هذه الأوامر أو الإشارات إلى إجراءات متنوعة وكل حسب إختصاصه. ولكل قسم من أقسام الدماغ وظائف معينة يقوم بإنجازها، وقد تمكن العلماء من تحديد الكثير من هذه الأماكن وكذا تحديد الواجبات المناطة بها، ومن ضمنها القسم المسؤول عن اللغة، تعليمها وتطويرها والتفنن في توظيفها.

**الفكر/ الوعي:** خاصيَّة من خصائص العقل البشري، وهو أعلى شكل للإنعكاس، لمعرفة الواقع الموضوعيّ. يقوم الوعي بتحديد العلاقة بين الإنسان والعالم المادي الذي يحيط به، حيث إن هذا العالم المادي هو المصدر الأساسي لظهور وتطور الأفكار، فالأفكار تظهر وتتغيَّر بالإرتباط مع النشاط العملي الفعّال للمجتمع، أي مع ظهور وتغيَّر التطبيق الإجتماعي للناس. (3)

والوعي، كونه العقل الظاهر أو الشعور الظاهر، هو خاصيَّة فِكريَّة يتمتع بها الجنس البشري دون سواه، وهو إنعكاس للواقع الموضوعي الذي نعيشه، حيث تلتقط حواسّنا ما يتواجد وما يدور في محيطنا من أشياء وأحداث وأنشطة وما يرافق ذلك كله من إنفعالات ورغبات وتعكسها إلى المواقع المخصصة لها في الجهاز العصبي المركزي، ليتولى هذا الأخير نقل عملية الإنعكاس هذه وإيصالها إلى الدماغ. فالوعي بهذا الوصف يشمل كافة أشكال الإنعكاسات الحِسِّيَّة والعقلانيَّة وكل ما يرتبط ويحيط بهذه العملية، أي أنه وبمعنى آخر يشمل مجمل النشاط النفسي لكل فرد في المجتمع.

يتطور الوعي نتيجة لعملية بيولوجية معقدة وطويلة المدى، وهو كوظيفة بل واجب للدماغ البشري، يتبلور بالإرتباط مع العمل الإجتماعي للإنسان، والوعي ما هو إلا نتيجة للتطور الذي يطرأ على المادة، وتشكل المادة القاعدة الأساسيَّة لتطوره، فهو لا يوجد إلا بالإرتباط غير المنفصل بالمادة، إلا أنَّه لا يعتبر مادَّة بذاته.(4)

والوعي شيء ثانوي، ووجوده مرتبط مركزياً بوجود المادة، ولا يمكن أن يتواجد بمعزلٍ عنها، ويعتبر الوعي نتاج لمادة متطورة جداً وهي الدماغ. "وما الوعي إلا نتاج لمادة متطورة جداً وهي الدماغ."(5)

لا يعتبر الوعي نتاج مادي، إلا أنه نشاط جداً معقد، تكمن خصوصيته بإمكانيته على عكس الواقع الموضوعي بأشكال عقلانِيَّة، أي تحويل الأشياء الماديَّة إلى أشياء فِكريَّة. فالوعي هو إنعكاس فِكريَّ للعالم المادي، وإنطلاقاً من هذا لا يمكن للوعي أن يمتلك مضمون قائم بذاته، "فالوعي لا يمكنه أبداً أن يكون شيئاً آخر غير الوجود المدرك."(6)

من المعروف أنَّ المضامين المُحَدِّدَة للوعي تظهر على الدوام كإنعكاس للعالم المادي الذي يحيط بنا، في المجتمع الذي نتواجد فيه، وبالتالي في كل فرد من أفراد هذا المجتمع، بأشكال مُحَدَّدَة أيضاً، وهذه الأشكال هي الإحْساس، الشُعُور، الإدراك، المُلاحظة، المفاهيم، الأحْكام وغيرها، وهذه المضامين ما هي إلا إنعكاس وتعبير واعي وعقلاني للعلاقة الوثيقة بين الفرد ومحيطه.

وكذلك فإن قوانين الخبرة والتفكير عند البشر، لم تكن متوفرة منذ البدأ، بل هي وكذا مضامينها، تطورت مع مرور الزمن كإنعكاس للواقع الموضوعي أيضاً. ومع هذا فإن الوعي هو ليس فقط نتاج جانبي للعمليات الفسيولوجية التي تقوم بها الجملة العصبية، بل إنه يقوم بإداء واجبات ضرورية وهامة في حياة الناس. وبالإعتماد على قدرات الوعي بعكس الأفكار، فإنه يعتبر أداة عامة للمعرفة، يتمكن البشر بمساعدته من الولوج إلى جوهر العالم المادي وإدراك خصائصه الموضوعيَّة وحَتْمِيّاته.

والوعي يُمَكِّن الإنسان من التخطيط بشكل هادف، ومن التَكَهُّن المبكر لنتائج الأمور التي خطط لها، كما يُمَكِّنه من ترتيب علاقاته المختلفة والمتبادلة مع محيطه الطبيعي والإجتماعي وتغييرها بشكل ينسجم مع تطلعاته، أي أنَّ الإنسان وبالإعتماد على ثمرات الوعي الذي يمتلكه يكون في وضع يؤهله لإستخدام هذا الوعي وتوضيفه، وترتيب أولياته حسب حاجته للوصول إلى أفضل النتائج التي يطمح اليها مع محيطه الإجتماعي والماديّ.

وهو عبارة عن عملية نشطة لإستيعاب عقلي دائم من قبل الإنسان لمحيطه، ويتمتع بإستقلاليَّة نِسْبِيَّة تنعكس من خلال تأثيره المتعدد الوجوه على العالم المادي، ومن نسبيَّة القوانين الذاتيه التي يتمتع بها. فكلّما إزداد وعي الفرد، تمكن من إدراك ذاته وتقويمها، وإدراك محيطه والتأثير به.

وفي الوقت الذي يتواجد فيه نشاط نفسي بأشكال مختلفة عند الحيوانات التي يكون جهازها العصبي المركزي متطورا بعض الشيء، نرى أنَّ الوعي كونه أعلى درجة من التطور في النشاط النفسي للإنسان، يظهر بالدرجة الأولى من خلال نشاط العمل الإجتماعي وبالإرتباط مع اللغة، وهو من البداية ذو طابع ومواصفات إجتماعية، وله صلة باللغة غير قابلة للإنفصال. ويبقى وعي الإنسان بمثابة شرط لتطوره الثقافي، هذا التطور المتواجد كونه كجزء من النظام الإجتماعي القائم. "إنَّ إنتاج الأفكار والتصورات والوعي مشبوك مباشرة منذ بادىء بدء بنشاط الناس المادي وبمعاشرتهم الماديَّة، بلغة الحياة الفعليَّة، وإنَّ تشكل تصورات الناس، وتفكيرهم، ومعاشرتهم الروحيَّة هي هنا نتيجة مباشرة أيضاً لأفعالهم الماديَّة."(7)

وقد دار خلاف حاد ومتعدد الوجوه بين الفلاسفة المثاليين والماديين حول تحديد طبيعة الوعي، وهل هو من إبداع أشياء غير مادية مثل *الروح* أو *النَفْسُ* أو غيرها من الأمور التي خارج حدود الطبيعة، أم إنه نتاج للمادة المتطورة جداً وهي الدماغ، وتجسد هذا الخلاف بتمسك الفلاسفة المثاليون ومنذ فجر التأريخ من أمثال إفلاطون (Platon) 427 – 347 ق.م. وأرسطوطاليس (Aristoteles) 384 – 322 ق.م.، ومن تبعهم ولقرون عديدة بفكرة كون الوعي الذي يمتلكه الإنسان، وبالتالي التفكير، ما هو إلا ظاهرة مستقلة بشكل تام وغير مرتبطة بالمادة، وهم يرجعونها تارة إلى أشياء ملائكية، وأخرى إلى عالم روحاني مستقل، أو إلى أفكار مطلقة تارة أو مرتبطة بقوى خارقة تارة أخرى، أو حتى إلى كونها موضوعة مستقلة لذاتها.

فمثلاً يعتبر الفيلسوف اليوناني إفلاطون النشاط النفسي كونه نتاج للروح، وإنَّ هذه الروح بنظره شيء غير مادي وغير قابل للموت، وهي عبارة عن سجين مؤقت تم حجزه في جسم الإنسان. ويربط ذلك بفكرة الحقيقة المطلقة.

ويزعم الفيلسوف اليوناني أرسطوطاليس (Aristoteles) 384-322 ق. م.، في الكتاب الثاني "أنَّ الروح الأزليَّة هي شكل الجسم، وهي جهاز للنشاط النفسي."(8)، وفي الوقت الذي يمنح فيه هذا الفيلسوف الجسم القابلية على الإدراك والوعي، فإنه يعتبر التفكير نتاج العقل أو الروح المُفَكِرَّة، المستقلة بشكل تام عن الجسد.

وقد تناول الدكتور عدنان الظاهر في مقالته المعنونة "الروح والنفس والجسد في الفلسفة والأديان" موضوع الروح والنفس والعقل بشكل مفصل وخلص إلى الإستنتاج التالي: "لقد تدرّج فلاسفة الإغريقُ من الجسم الذي عرفوه بحواسهم وبالمشاهدة العيانية لأنه موجود أمامهم ... ثم إرتقت مداركهم بفضل الجسم فعرفوا النفس بدليل الحركة والإحساسات سواء في الإنسان أو الحيوان، ثم عرّفتهم قوى النفس ودلّتهم على قوّة أو سلطان العقل. أي تسلسلت معارف الإنسان ومداركه ووعيه متدرِّجةً من الجسم المادي المُشاهد والملموس إلى النفس بفضل الحركة وحواس البشر الخمس ـ إلى العقل والفضل للنفس، أي : لا نفس بدون جسم، ولا عقل بدون نفس. يقُرر العلم الحديثُ والفلسفة المادية الحديثُة أنَّ حواسنا هي مصدر معارفنا وهي الجبهة العريضة التي نتلقى بواسطتها العالم الخارجي المحيطُ بنا أفعالاً وردود أفعال."

ويَعْتَبُر الفيلسوف اليوناني ديموقرت (Demokrit) 460 – 371 ق.م.، وهو فيلسوف ماديّ ومؤسس مذهب الجوهر (المضمون)، الإدراك والتفكير عند الإنسان عبارة عن حركات للذرات الماديَّة للروح، وإنَّ موطن التفكير ما هو إلا الدماغ. (9)

إلا أنَّ المفكِّرين الماديّين طوَّروا الرأي الذي مفاده أنَّ العمليات النفسيَّة ما هي إلا عمليّات طبيعيَّة تجري في جسم الإنسان. وبدأت الأفكار المثاليَّة السابقة، بالإنحسار مع بدايات التطور العلمي في أوربا في القرن الثامن عشر وخاصة في مجالات الفيسيولوجيا (علم وظائف الأعضاء) والطب، حتى أدرك المفكر الفرنسي دينس ديدروت (Denis Diderot 1784 - 1713) بأن جميع النشاطات النفسيَّة مثل الإحساس والإدراك والتفكير والذاكرة وغيرها، هي من نتاج الدماغ وذلك من خلال العمل المشترك مع الأعضاء الحسيَّة في الجسم. وأشار إلى الصلة الوثيقة بين الوعي واللغة، وإلى سيطرت الدماغ على عملية طرح الأصوات

المختلفة وكيفية التحكم بها، وطالب بإجراء تجارب علمية للقيام بفحص الإمكانيات الحسِّيَّة المتوفرة في المادة وبشكل خاص على العضو الخاص بالتفكير، أي الدماغ.(10)

وفي هذا الإطار دار ويدور الجدل بين مختلف العلماء المختصين بهذا الشأن، في علوم الفيسيولوجيا والنفس والمجتمع واللغة وغيرها، وخاصة فيما يخص العلاقة بين الفكر واللغة، هل هي علاقة بين مكونين منفصلين عن بعضهما أم هي علاقة متصلة؟ وهل يمكن الحديث عن الفكر في غياب اللغة ؟ وهل تستوعب اللغة كل ما يفرزه الفكر؟ وغيرها من الأمور التي تتعلق باللسانيات.

فالفيلسوف اليوناني إفلاطون (427 – 347 ق.م.) يفصل بين الفكر واللغة، ويعطي الأسبقية للفكر، والفكر عنده سابق في تواجده على اللغة، وإنه مستقل بذاته ومنفصل عنها، ويرتقي الفكر عند إفلاطون في مكانته الى الدرجات العليا، وهو متواجد قبل اللغة وبدون كلمات للتعبير عنه، بينما تنتمي اللغة عنده الى العالَم المادي الحسّي الملموس، ويضعها بذلك في المراتب الدنيا، وهي بالنتيجة تقوم بوظيفة التعبير عن الأفكار التي تواجدت من قبل.

ويشارك إفلاطون في هذا الرأي الفيلسوف الفرنسي ديسكارت ( 31.03.1596 – 11.02.1650 René Descartes)، صاحب الرأي القائل " أنا أفكر، إذن أنا موجود." ومؤسس ما إصطُلِحَ على تسميته بين الفلاسفة بالفكر العقلاني، ويرى بأن الفكر واللغة يتواجدان بشكل مستقل ومنفصل عن بعضهما البعض ولا توجد علاقة تأثير متبادلة بينهم، وهما يتكونان من مواد مختلفة، فالفكر طابعه روحي بينما اللغة طابعها ماديّ، ويؤكد أيضاً على أسبقية الفكر على اللغة. وقد تقدم هذا الفيلسوف بطروحاته الفكريَّة على معلمه إفلاطون ومن تبعه من الفلاسفة المثاليين، وكان من المدافعين الصلبين عن فكرة الميكانيكية في الفلسفة، التي توصل اليها الفيلسوف الألماني لودفيغ فويرباخ ( Ludwig Andreas Feuerbach 28. Juli 1804 in Landshut; † 13. September 1872 in Rechenberg/Nürnberg)، هذه الفكرة التي كانت بمثابة الخطوة الحاسمة في قلب موازين الأمور بإتجاه الوصول إلى الفلسفة الماديَّة، تلك التي وضع أسسها الفيلسوف الألماني الكبير كارل ماركس.

وقد طرح ديسكارت في مجال المعارف النظرية أفكار مهمة منها مثلا: "الإعتراف بالشَّيء كونه صحيح يكون فقط بعد التحليل الشخصي له وعلى خطوات، وبعد الإنعكاس المنطقي لصحة هذا التحليل." وتركت أفكاره الفلسفية هذه بصماتها على الثورة الفرنسية.

ويذهب الفيلسوف الألماني آرثور شوبنهاور(Arthur Schopenhauer 21.09.1860 فرانكفورت/ ماين (Frankfurt am Main)، المتوفي بتأريخ 22.02.1788 في دانسيج (Danzig)، أحد تلامذة الفيلسوف الألماني كانْت ومثله الأول إفلاطون، الى نفس المنحى، ويقف الى جانب أسبقية الفكر على اللغة، كما إنه يدعم النظرة القائلة بإنفصال وإستقلالية الإثنين عن بعضهما البعض، وإليه يعود القول: *الأفكار تموت لحظة تجسيدها في كلمات. * وهو بهذا يشير أيضا الى كون الفكر أشمل وأوسع من اللغة، وإن اللغة عاجزة عن التعبير عن كل النتاج الفكري للفرد والمجتمع.

أما الفيلسوف الألماني كارل ماركس فيرى بأن اللغة هي الشكل الملموس للوعي، بل هي الوعي الفعلي للإنسان، ولا يمكن التعرف على كنوز الوعي دون إمتلاك اللغة. "إنَّ اللغة هي الوعي الفعلي، العلني، الموجود لأجل الناس الآخرين أيضاً، والذي لا يوجد بالتالي إلا بالنسبةِ لي كذلك، واللغة مثل الوعي، لا تنبثق إلا من الحاجة، من الضرورة الملحة القاضية بالتعاشر مع الناس الآخرين."(11)

ويرى العالم اللغوي السويسري فرديناند دي سوسير ( *Ferdinand de* Saussure 26.11.1957-22.02.1913) بأن العلاقة بين اللغة والفكر علاقة وثيقة ولا يمكن الحديث عن إحداهما بمعزل عن الآخر، "ليس فكرنا إلا كتلة عديمة الشكل وغير مميزة، ولقد وقع إجماع الفلاسفة وعلماء اللسان على إننا نكون عاجزين، بغير الإستعانة باللسان، عن التمييز بين فكرتين ومعنيين بكيفية واضحة وثابته، ولو إعتبرنا الفكر في ذاته لتبين لنا إنه عبارة عن سديم وعماء ضبابي ليس فيه بالضرورة شيء محدد، فليس هناك معانٍ وأفكار قد سبق وضعها، ولا وجود لأي شيء متميز قبل ظهور اللسان."(12)

**الصوت ـ اللغة:** وهنا يجري الحديث عن بناء الفونيمات، أي عن أصغر الوحدات التي يتكون منها الصوت والتي يتم بمساعدتها بناء المفردات اللغوية، التي من خلالها يجري التفريق بين معاني المفردات، أي معاني الكلمات المتداولة في هذه أو تلك من اللغات، وتنقسم الفونيمات إلى نوعين، الأول قِطْعِيّ (segmental) ويشمل هذا النوع على الصَّوامِت والصَّوائِت، أي على منظومة حروف الأبجدِيَّة لكل لغة من اللغات بكاملها، أي بشقيّها، الحروف الصحيحة وحروف العِلَّة، أما النوع الثاني فهو فَوْقِطْعِيّ (suprasegmental)، ويشمل النَّبَرات والأَنغام والفَواصِل وما شابه ذلك. وتتكون الفونيمات بدورها من ألُوفوناتٍ تَتَوَزَّع المواقِع بِشَكلٍ تَكامُلِيٍّ أو تَتَغَيَّر بِشكلٍ حُرٍّ.[13]

ولعملية التنفس وبالتالي لخروج الهواء المنبعث من الرئتين عبر أجهزة النطق الممتدة بين الفم والبلعوم والحنجرة واللهاة والأوتار الصوتيَّة وجوف الأنف واللسان والجوف الداخلي للفم، واللَّثه، أي سَقْف الحَلْق، وصولاً إلى الأسنان والشفتين، وكذلك القصبات والشعب الهوائيَّة دوراً كبيرا في صياغة المفردات اللغوية، وتلعب الحنجرة والأوتار الصوتية دورا مميزا في هذا المجال. ومن المعروف أنَّ الأصوات تنبعث من أماكن محددة لها وهي تسمى تبعاً لذلك بأسماء هذه الأماكن، مثلا نقول هذا صوت أَسْنانيَّ لأنه ينطلق من بين الأسنان(Zahnlaute)، وهذا صَوْت حنكِيّ (Gaumenlaut, Palatallaut)، أو صَوْت حَلقي (Guttural Kehllaut)، أو صَوْت أنفي (nasal)، أو صَوْت فَموي (oral)، أو صوْت حُنجُرِيَّ ( Laryngal auch glottal)، أو صوْت شِفاهي (labial)، أو صوْت بلعومي (pharyngal)، أو صوْت لثوي ( Gaumen, alveol)، ... الخ.

فالفكر عند دي سوسير هو عبارة عن كتلة ضبابية تعبر عن نفسها من خلال الصوت، وما الصوت إلا أداة للفكر ولا يوجد من أجل ذاته، والصوت يعتبر المكون الأساسي للغة، وهذا يعني بأن العلاقة بين الإثنين وثيقة ومتداخلة، يحتوي كلا منهما الآخر ويكمله، ولا وجود لأي منهم بدون الآخر، ولا أسبقية لأحدهما على الآخر، فهما يتكونان في آنٍ واحد، وما اللغة إلا الحضور الفعلي للفكر، وإن التزامن الناتج من هذه العلاقة (فكر ـ صوت) هو عبارة عن صورة وليس مادة. ويشبه هذه العلاقة كونها "وجهين لعملة ورقية واحدة، لا يمكن إحداث قطع في الوجه الباطن دون إحداث قطع في الوجه الظاهر لها. ولا يجوز عزل الفكر عن الصوت أو عزل الصوت عن الفكر."[14]

لقد حَسِمَتْ التطورات العلمية هذه العلاقة، بل هذا الجدل الفلسفي القائم منذ قرون من الزمن لصالح الإتجاه الماديّ، وأخذت مختلف جامعات العالم تقوم بتدريس طلبتها المواضيع التي تنسجم مع التطورات الجارية، إلا أنه وبشكل مؤسف جداً نلاحظ بأنَّ الفئات والطبقات المحافظة والرجعيَّة وفي مختلف مراحل التأريخ وقفت، وتقف اليوم أيضاً، بوجه الإنجازات العلمية ووضَّفت كل إمكانياتها في وضع العقبات والعراقيل بوجه العلم والتطورات العلميَّة التي أفرزتها الحياة، ولنا في هذا الإطار شواهد كثيرة على ذلك، فما موقف الكنيسة من التطورات العملاقة التي أتى عليها العلماء في أوربا في القرون الماضية، من أمثال كوبرنيكوس وكيبلر وغاليلو غاليلاي وداروِن ونيوتن في مجالات الفلك والفيزياء والتكنيك وعلوم الحياة وغيرها، وكيف تمت محاربتهم والتشهير بهم وحرق منجزاتهم، بل حتى تقديمهم للمحاكم وإنزال أقصى العقوبات بحقهم، بما فيها التصفيات الجسدية، إلا شواهد قليلة على مثل هذه المواقف المخزية. وإتخذت وتتخذ الكثير من القوى المهيمنة على مقاليد الأمور في الدول العربية والإسلامية مثل هكذا مواقف مناوئة للإنجازات العلمية كما تتخذ التدابير اللازمة للحيلولة دون تطبيقها، ضنّا منها بأنها من خلال عملية حجب الحقائق عن الناس، والإبقاء على الجهل وإشاعت الأفكار الظلامية، ستتمكن من سدل الستار على عقول المواطنين وبالتالي إخضاعهم لمعتقدات الساسة المتسلطين من أجل تمكينهم من الإحتفاض بعروشهم المهزوزة.

تعلَّمنا من تأريخ العلوم وعلى إمتداد السنين، كيف أنه من واجب العلم ومؤيديه ومناصريه ضرورة محاصرة ومحاربة قوى الظلام، والتخلف، والعسف، واللاإنسانيَّة وتفنيد آرائهم وشعوذاتهم ونظرياتهم والكشف عن أعمالهم وإجراءاتهم التخريبيَّة بحق العلم والعلماء والناس أجمعين.

كما علمنا التأريخ أيضا بأنَّ للعلم والقائمين عليه كما للعلماء مكانة خاصة ودور فعال وقوة تأثير وتغيير مميزة على الفرد والمجتمع بإختلاف المجتمعات والفترات الزمنية التي مرّت بها. وقد وقف المتنورون على إمتداد

فترات التأريخ الى جانب العلم والقائمين عليه، فالعلماء والمبدعون هم القادة الحقيقيون لتنوير المجتمع وهم المحرك الفعلي لعملية التطور.

**المصادر:**


**(1)** Philosophisches Wörterbuch 2 Bände/ VEB Bibliographisches Institut Leipzig 1976/ Band 2/ Seite 769
**(2)** http://de.wikipedia.org/wiki/Gehirn الصورة مأخوذة من الإنترنت
**(3)** Wörterbuch der Logik VEB Bibliographisches Institut Leipzig 1978
**(4)** Kultur- Politisches Wörterbuch/ Dietz Verlag 1970 Berlin/ Seite 65
**(5)** Philosophisches Wörterbuch 2 Bände/ VEB Bibliographisches Institut Leipzig 1976/ Band 1/ Seite 224
**(6)** ماركس/ إنجلس/ منتخبات في ثلاثة مجلدات/ المجلد 1/ الجزء 1/ صفحة21
**(7)** ماركس/ إنجلس/ منتخبات في ثلاثة مجلدات/ المجلد 1/ الجزء 1/ صفحة20
**(8,10)** Philosophisches Wörterbuch 2 Bände/ VEB Bibliographisches Institut Leipzig 1976/ Band 1/ Seite 224
الروح والنفسُ والجسدُ في الفلسفة والأديان/ د. عدنان الظاهر/ موقع الناس
http://www.al-nnas.com/ARTICLE/ADhaher/spo2.pdf
**(9)** Wörterbuch der Logik/ Leipzig 1972 Seite 122 قاموس المنطق ص 122
**(11)** ماركس/ إنجلس/ منتخبات في ثلاثة مجلدات/ المجلد 1/ الجزء 1/ صفحة30
**(12)** محاظرات في علم اللسان/ فرديناند دي سوسير/ ترجمة أحمد قنيني/ دار نشر أفريقيا الشرق 1987/ص 142
**(13)** معجم علم اللغة النظري إنكليزي ـ عربي/ د. محمد علي خولي/ مجتبة لبنان/ 1982
**(14)** محاظرات في علم اللسان/ فرديناند دي سوسير/ ترجمة أحمد قنيني/ دار نشر أفريقيا الشرق 1987/ص 143